

ديوان

الحَقِيقَةُ

من شعر

صَلام الدين القوصي

(الجزء السادس)

الطبعة الأولى

غرة رجب ١٤٢٢هـ - سبتمبر ٢٠٠١م

وقف لله تعالى لا يباع

شَرِيحِي
(رسول الله)

شَيْخِي
(رسول الله)

بِاسْمِ النُّورِ وَمَا قَدْ هَلَّ
عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ الْأَوَّلِ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ
كُلُّ الْخَيْرِ بِهِ يَتَنَزَّلُ

كُنْتُ أَقُومُ بِجُوفِ اللَّيْلِ
وَرَأْسِي كَانَتْ تَحْتَ الْأَرْجُلِ
سَحَّ الدَّمْعُ .. وَسَاحَ الرُّوحُ
وَإِذْ بِالْخَيْرِ عَلَيْنَا يَهْطِلُ
وَالْأَشْيَاخُ أَرَاهِمُ عِنْدِي
فِيهِمْ نُورُ اللَّهِ مُمَثَّلٌ
هَذَا يَنْصَحُ لِي بِالْقَوْلِ
وَهَذَا يَفْتَحُ لِي مَا يُقْفَلُ
ذَاكَ يُبَشِّرُنِي بِالْخَيْرِ
وَذَاكَ يَنْصَحُ حَتَّى أَنْهَلَ
بَعْضٌ مَجَّدَ وَجْهَ اللَّهِ
وَبَعْضٌ زَادَ فَرَاخَ يَهْلَلُ

حولى كانوا كالحلقات
إذا ما اتَّسَعَتْ أو إن تُقْفَلُ
ثمَّ علينا هلَّ النُّورُ
بِآلِ البیتِ وزادِ وَكَلَّلُ

وإذا "ليلي" تُشرقُ عندي
والأَكوانُ لها تتزلزلُ
سجَدْتُ وَقُلْتُ: تعالی اللهُ
أَتَاكَ العبدُ بقلبٍ يرفُلُ
في سُبُحاتِ الله ونورِ
القُدُسِ بحمدِكَ فيه يجلجلُ

صَرَخْتُ أُسَبِّحُ : يَا اللَّهُ
فَكَلُّ الْكُونِ بِقَوْلِي هَلَلٌ
قَلْتُ : سَلَامٌ يَا " لِيَلَاي "
فَقَالَتْ : أَلْفُ سَلَامٍ يَنْزَلُ
قَلْتُ : أَتَيْتُ لِدَاتِكَ حُبًّا
قَالَتْ : صَبْرًا .. لَا تَتَعَجَلُ
قَلْتُ : وَحَقَّ اللَّهُ الْهَادِي
لَيْلَةُ قَدْرِي هَذِي الْأَفْضَلُ
أَنْتِ .. تَوْحَّدَ فِيكَ الْكُلُّ
فَجِئْتُ لِأَسْجُدَ لَا أَتَمَهَّلُ
أَشْهَدُ أَنَّي عَبْدُ اللَّهِ
وَأَنَّ اللَّهَ الْفَرْدُ الْأَوَّلُ

لم أتزحزح منذ "ألست"
وقلت "بلى" بالنطقِ الأمثلِ
لا دنيای ولا آخرای
ولا الجناتُ ولا بالأفضلِ
ما يشغلني عنكِ سواكِ
ووجهكِ لي أرجوه وأنهلِ

مَنْ مِثْلِي عَبْدٌ لِإِلَهِ
مِثْلِكَ بِالْقُدُوسِ تَجَلَّ!!
يكفي أنني عبدُ اللَّهِ
فمَنْ مِثْلِي بِاللَّهِ تَوَسَّلْ!!

لست أرى إلاك حبيبا
مهما خلقتك منك تجمل
أرقص طربا يامولاي
بحب الله أميل وأتمل
من مثلي بالله سعيد
مهما كنت لكم أثبتل
أنا بالله وعند الله
وإن قصرت فلا أتململ
أنت الله العظيم الشأن
وعبدك فيه الضعف تمثل
إن العبد يسيء القصد
إذا يسهو أو يوما يغفل

ذنبى أئى لا أقدرُكمْ
حَقَّ القدرُ ومهما أفعَلُ
ذنبى أئى مهما حُبُّك
يفرَى القَلْبَ فدوماً أَفْشَلُ
ذنبى أئى لا أعرفكم
يا وىلى من عبدٍ يجهلُ
ذنبى أئى لا أعبدكم
حَقَّ عبادَة من يتبَلَّ
ذنبى أئى أحيًا شبحًا
لستُ سوى كالميت يُنقلُ
طوبى يا مولاي لمن قد
كان هَواكم فيه المقتلُ

يحيَا عِشْقَا فِئِكُمْ أَبَدًا
وَالعِشَاقُ غَرِيبُو المَنْزَلِ
هَمْ سِيَّاحٌ عِنْدَ اللّهِ
وَحُبُّ الصَّادِقِ لَا يَتَبَدَّلُ

قَالَتْ "لَيْلَى": فَانْهَضْ عِبْدَى
قِفْ بِمَكَانِكَ لَا تَتَنَقَّلْ
أَفْلَحُ مِنْ لَى عِبْدًا يَأْتَى
أَفْلَحُ مَنْ بِالْحُبِّ تَوَكَّلْ
أَنْتِ حَبِيبَى.. فَاحْفَظْ عَهْدًا
يَأْتَى الخَيْرُ إِلَيْكَ وَيُقْبَلُ

أَعْلَمُ أَنْ بِقَلْبِكَ حُبِّي
نَارُ الْقُدْسِ بِقَلْبِكَ تُشْعَلُ
صِرْتَ لَنَا عَبْدًا لِلذَّاتِ
وَعَبْدُ الذَّاتِ لَنَا كَالْمَشْعَلِ
فِيكَ النُّورُ .. وَمِنكَ النُّورُ
لِقَوْمِكَ .. وَالْأَكْوَانُ الْمُحْفَلُ

لكن .. قل لي .. كيف وصلت !!
بِقَلْبٍ !! أَمْ مِنْ عَقْلِ يَعْقِلُ !!
قُلْتُ : تَمَجَّدَ رَبِّي قُدْسًا
عَزَّ اللَّهُ وَرَبَّ قَدَّ جَلُّ

شِيخِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْكُمْ
لَمَّا كُنْتُ بِهِ أَتَمِّئِلُ
وَالْأَشْيَاخُ كَثِيرٌ عِنْدِي
بِهِمْ كُنْتُ أَرْوِحُ وَأَنْهَلُ
كَمْ مِنْ غَوْثٍ جَاءَ بَبْشَرِي
ثُمَّ كَلَامًا عَنْكُمْ يَنْقَلُ
ثُمَّ أَتَانِي "الْخِضْرُ" مَرَارًا
قَالَ : تَأَدَّبُ حَتَّى تُقْبَلُ
وَانظُرْ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ ذَا
شِيخِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَسَجِّلْ

كنتُ أظنُّ الكلَّ شيوخِي
حتى قيلَ اعقلِ .. وتمهلُ
وإذا نورُ حبيبك "طه"
يرفعُ عن ظهري ما حُمَّلُ
يغرقُ قلبي .. يملأُ روحي
يأخذُ جسمي .. بل يحتلُ
قال : الآن ستعرفُ أُنِّي
شيخُكَ .. مهما عقلك يختلُ
كنتُ وراءَ الكلِّ أغذِي
كلَّ شيوخِكَ ممَّا أحملُ
كنتُ صغيراً لا تتحملُ
والأنوارُ عليكم ثقلُ

كل شيوخك كانوا صورا
مئى .. أما أنا فالمنهل
أرسلناهم مئاعنا
كى تستأنس ما يتنزل
مند طفولتكم أركام
لكن لم تك تفهم ما يتمثل
أذكر يوم أتيتك سعياً
من أعلى درجات المنزل !!
عالجناك .. وبشرناك وكنت
صغيراً .. لم تك تحفل
وفى "المحكمة" أتيت أذاع
عنا ليرضى القوم وتقبل

هَلَّا تَذُكُرُ يَوْمَ أَتَى بِكَ
شِيخَاكَ عِنْدِي يَوْمَ الْمَحْفَلِ!!
يَوْمَئِذٍ سَلَّمَكَ إِلَيْنَا
حَتَّى الْعُهُدَةُ فَرَزَ وَسَجَّلَ
رَغْمَ الْحَسَدِ مِنَ الْحُضَارِ
وَرَغْمَ شِيُوخِ كَادَتِ تَقْتُلُ
قَالَ : بَنِيَّ .. فَخَذَهُ إِلَيْكُمْ
صَارَ كَبِيرًا كَيْ يَتَحَمَّلُ
قَدْ أَدَيْنَا مَا حُمِّلْنَا
وَهُوَ الْآنَ لَكُمْ مُتَّعَجِّلُ
يَجْزِي اللَّهُ شِيُوخَاكَ خَيْرًا
أَثْمَرَ فِيكُمْ جَهْدًا يُبْذَلُ

ثم أتيت إينا تسعي
كنت رضيعاً ثم تفحل
ثم سقيناكم أنهارا
منا.. حتى الوجه تهلل
أنت بنى وإنى " جَدُّكَ "
فافرِح .. واصبرْ لا تتعجلْ

قلت: رسولَ الله .. حبيبي
منذ متى بي نورك قد حل
قال: بنى أتذكرُ لِمَا
قلت "بلى" .. والكلُّ تهللُ

قيل : إِيكَ بَنُوكَ وَأَهْلُكَ
نورك فيهم نار وكلل
كنت إمامَ شيوخك .. ثمَّ
إمامك ما قد جسمك يرحل

قلتُ : رسولَ الله أحبُّك
فوقَ الروحِ وعقلٍ يعقلُ
"جدِّي" قد أقسمتُ عليك
بحقِّ اللهِ ونُورِ الأولِ
لا تتركني أبدا يوما
مهما فعلى بي قد ينزل

أَطْرُقُ عِنْدَكَ بَابَ الْجُودِ
وَأَرْكَبُ عِنْدَكَ بَابَ الذُّلِّ
كَلِّىَ خَطَاً .. كَلِّىَ ذَنْباً
أُرْدَى بِي وَاللَّهِ لِأَسْفَلِ
لَكِنْ حُبِّكَ يَا مَوْلَاىَ
بِقَلْبِي فَاحَ .. وَلَا يَتَمَهَّلُ
سَحَّ الدَّمْعَ .. وَدُكَّ العَظْمِ
وَحَبَّكَ فِى الأَعْضَا .. يَتَسَلَّلُ
أَقْسَمُ حَتَّى لَوْ قَدِمْتُ
وَكَلُّ الجِسْمِ لَنَا يَتَحَلَّلُ
حَبَّكَ يَسْرِى فِى ذَرَّاتِى
وَقَلْبُ الرُّوحِ لِحَبِّكَ أَشْمَلُ

صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ
خَيْرِ سَلَامٍ لِّكَ وَالْأَفْضَلِ

قالت: "ليلي" فزت عبّيدى
فاصدح شعراً.. قم لا توجل
عرّف خلقى كيف الحُبُّ
ولا تتردد أو تَمَهَّلْ
وانظّم شعرك .. إن علينا
فهم الشعر لمن يتأمل
مئى الشعر .. ومنك القول
وسوف أذيعُ الشعر كمنهل

فالعشاقُ لهم بي شوقُ
عَلَّ الوجد لهم يتمثلُ
عسى بالشعر وما تنظمه
قد يتداوى من يتعللُ
أو بالوجد .. ونار الشوق
بهم يتبصر من يتكحلُ
واحفظ حبَّ حبيبي "طه"
إن الحُبَّ لَنَارٌ تَقْتُلُ

يا مولاي .. عليك صلاةُ
الله وطيبُ الوردِ وفلُّ

وحبك حبُّ الله .. وخاب
المرءُ إذا منكم يتصلَّ
ف نورُ الله .. حيبُ الله
ورحمةُ ربي فيه المدخلُ
وما قد زدتُ .. وما أسرفتُ
ولستُ وحقَّ الله أُقللُ
يا مولاي عليك صلاةُ
من مولاي عليكم تنزلُ

واسمح لي مولاي بحبِّك
إن القلبُ نارٌ تُشعلُ

واحبُّ عنيَّ الغيرَ وكنْ لي
منْ بالروحِ لنا يتكفَّلُ
أنتمْ شيخي يا مولاي
وأكرم بك من شيخٍ يصقلُ
أنت إمامُ الكلِّ وإنِّي
لا أرضى بسواك المنهَلُ
فلسْتُ بغيرك يا مولاي
أراني أبدا يوماً أحفلُ
خُذني جوداً .. أكرم فضلاً
علمني ما شئتَ الأفضلُ
صلى اللهُ عليكَ وسلمُ
ما عبدكُ منْ فضلكَ ينهلُ

صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ
عَدَّ الْفَرَضِ وَمَنْ يَتَنَفَّلُ
صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ
أَخْتَمَ بِالصَّلَوَاتِ وَأَفْصَلَ
أَخْتَمُ بِالصَّلَوَاتِ عَلَيْكَ
مَنْ الرَّحْمَنُ الْحَقُّ الْأَوَّلُ

*



المحرم ١٤٢٢ هـ - أبريل ٢٠٠١ م

